سورة الأحزاب

معانى الكلمات :

أدعياءكم : مفردها دعىّ ، وهو من ينسب لغير أبيه .

أقسط : أعدل .

جناح : ذنب .

أولى بالمؤمنين : أقرب أقربائهم .

أولو الأرحام : أهل القرابات .

أولى ببعض : أحق بالإرث .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يعلم المؤمن بعض أحكام الأسرة فى القرآن .

٢ ـ أن يشعر المؤمن بعظمة التشريعات القرآنية .

٣ ـ أن يطبق المؤمن التشريعات الربانية فى حياته ويلتزم بها .

المحتوى التربوى :

سورة الأحزاب سورة مدنية آياتها ثلاث وسبعون آية تتناول قطاعاً حقيقياً من حياة الجماعة المسلمة تمتد من بعد غزوة بدر الكبرى إلى ما قبل صلح الحديبية ، وهى سورة مزدحمة بالأحداث والتنظيمات والتشريعات ، وهى تتناول جانبا كبيراً من إعادة تنظيم الجماعة المسلمة كما تتناول تعديل الأوضاع والتقاليد ، كما يرد فى ثنايا ذلك الحديث عن غزوة الأحزاب وغزوة بنى قريظة ، وما حدث للجماعة المسلمة فيهما .

وتبدأ السورة ذلك البدء بتوجيه الرسول ﷺ إلى تقوى الله،وعدم الطاعة للكافرين والمنافقين واتباع ما يوحى إليه ربه والتوكل عليه وحده وهو البدء الذى يربط سائر ما ورد فى السورة من تنظيمات وأحداث بالأصل الكبير الذى تقوم عليه شرائع الدين وتوجيهاته ونظمه وأوضاعه

وآدابه وأخلاقه .. أصل استشعار القلب لجلال الله والاستسلام المطلق لإرادته واتباع المنهج الذى اختاره والتوكل عليه وحده والاطمئنان إلى حمايته ونصرته .

يقول صاحب الأساس : « إن مجموع الأوامر التى صدرت لرسول الله ﷺ ولأمته من خلال شخصه الكريم فى هذه الآيات هى التقوى ، وترك طاعة الكافرين والمنافقين واتباع الوحى والتوكل والصلة بين هذه الأوامر واضحة . فالتقوى لا تكون مع طاعة الكافرين والمنافقين . إذ الكافرون والمنافقون يرغبون أن يحرفوا المؤمنين والتقوى واتباع الوحى متلازمان كما ورد فى أول آية من سورة البقرة : ﴿ الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ﴾ (البقرة) ... وإذا استقرت هذه المعانى يبدأ السياق بهدم قاعدة التبنى المتعارف عليها عند العرب والتى كانت عميقة عندهم والتى سيترتب عليها قيل وقال ، فناسب ذلك أن يسبق الكلام عنها هذه المقدمة وتلك إحدى حكم وجود هذه المقدمة » .

وكذلك تبدأ السورة بوجوب الاستسلام لمشيئة الله وقدره ، واتباع منهج الله ، ثم النهى عن طاعة الكافرين والمنافقين ، وهذا النهى قائم فى كل بيئة وكل زمان ، المغزى من ذلك كما **يقول صاحب الظلال** : « حتى لا ينخدع أحد بما يكون عند الكافرين والمنافقين من ظاهر العلم والتجربة والخبرة ـ كما يُسَوِّغ بعض المسلمين لأنفسهم فى فترات الضعف والانحراف ، فإن الله هو العليم الحكيم ، وهو الذى اختار للمؤمنين منهجهم وفق علمه وحكمته : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ وما عند البشر إلا قشور » .

ثم تورد الآيات توجيها ثالثاً وهو التوكل على الله ورد الأمور إليه ، فهو القاعدة الثابتة المطمئنة التى يفىء إليها القلب ، وهذه العناصر الثلاثة : تقوى الله واتباع وحيه ، والتوكل عليه ـ مع مخالفة الكافرين والمنافقين هى العناصر التى تزود الداعية بالرصيد ، وتقيم الدعوة على منهجها الواضح الخالص من الله . وإلى الله . وعلى الله .

وتختم التوجيهات بإيقاع حاسم : ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ الآية تمثل الإخلاص والتجرد لله ، كما أن للمؤمن قلبا واحداً ، فلابد له من منهج واحد يسير عليه ، ولابد له من تصور واحد للحياة ، ولابد له من ميزان واحد يزن القيم ، ويقوم به الأحداث والأشياء .

ويقول صاحب الظلال : « وبهذا القلب الواحد يعيش فرداً ويعيش فى الأسرة ، ويعيش فى الجماعة ، ويعيش فى الدولة ، ويعيش فى العالم ، ويعيش سراً وعلانية ، ويعيش عاملاً وصاحب عمل ، ومن ثم فهو منهج واحد وطريق واحد ، ووحى واحد ، واتجاه واحد ، وهو استسلام لله وحده ، فالقلب الواحد لا يعبد إلهين ، ولا يخدم سيدين ولا ينهج نهجين ولا يتجه اتجاهين ، وما يفعل شيئًا من هذا إلا أن يتمزق ويتفرق ، ولا يتحول إلى أشلاء وركام » .

يقول صاحب الأساس فى تفسيره : ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ « هذا توطئة للمقصود فكما لا يكون للشخص قلبان فى جوفه ، وكما لا تصير زوجته التى يظاهر منها بقوله : أنت على كظهر أمى أما له ، كذلك لا يصير الدعى ولداً للرجل إذا تبناه فدعاه ابنا له : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ » .

ثم يأخذ النص القرآنى فى معالجة بعض القضايا فى المجتمع المسلم مثل قضايا الظهار والتبنى والمؤاخاة ، والإسلام فى معالجته لهذه القضايا يحرص على الأسرة المسلمة وهى الوحدة الاجتماعية الأولى ويوليها عنايته .

فتحريم الظهار رفع للظلم عن المرأة وإعلاء لمكانتها ، فالزوجة زوجة والأم أم ، ولا تتحول طبيعة العلاقة بكلمة ، ومن ثم لم يعد الظهار تحريماً أبدياً كتحريم الأم كما كان فى الجاهلية .

وتحريم التبنى فيه قسط وعدل أن يدعى الولد لأبيه، وهذا يجعل التبعات فى الأسرة متوازنة ، ويقيم الأسرة على أساس ثابت دقيق مستمد من الواقع .

يقول صاحب الظلال : « وهذا النص : ﴿ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ ﴾ يصور لنا حقيقة الخلخلة فى المجتمع الجاهلى ، وحقيقة الفوضى فى العلاقات الجنسية ، هذه الفوضى وتلك الخلخلة التى عالجها الإسلام بإقامة نظام الأسرة على أساس الأبوة ، وإقامة نظام المجتمع على أساس الأسرة السليمة .

وبعد الاجتهاد فى رد الأنساب إلى حقائقها فليس على المؤمنين من مؤاخذة فى الحالات التى يعجزون عن الاهتداء فيها إلى النسب الصحيح ، وهذه السماحة مردها إلى أن الله سبحانه وتعالى يتصف بالغفران والرحمة » .

وإرساء للمؤاخاة فيه وضع المجتمع الإسلامى على أوضاع مقررة ، فالمهاجرون من مكة للمدينة آخى الرسول بينهم وبين الأنصار ، وصارت المؤاخاة بمقام أخوة الدم ، وارتفع المد الشعورى بين المهاجرين والأنصار لذروة عالية ، . كانت هذه العلاقة ضرورية لحفظ هذه الجماعة الوليدة وتماسكها فى مثل تلك الظروف الاستثنائية المتشابكة التى قامت فيها .

لكن الإسلام مع حفاوته بذلك المد الشعورى إلا أنه حريصٌ على أن يقيم بناءه على أساس الطاقة العادية للنفس البشرية لا على أساس الفورات الاستثنائية ، فيعود لرد الأشياء إلى حالتها الطبيعية فى الجماعة الإسلامية .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ أن يوجه المسلم حياته على طريق الإسلام ، وأن يدع العادات الباطلة .

٢ ـ وجوب إخلاص العبادة لله .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ
وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧
لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا
۝٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ
جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ
مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ
وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟
زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم
مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ
مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ
مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا
فِرَارًا ۝١٣ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ
لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ۝١٤ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟
ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ۝١٥
٤١٩

معانى الكلمات :

ميثاقًا غليظاً : عهداً مؤكداً .

زاغت الأبصار : حارت من شدة الرعب .

غروراً : باطلا أو خداعاً .

عورة : غير حصينة .

لو دخلت عليهم من أقطارها : لو هوجمت المدينة من نواحيها .

لا يولون الأدبار : لا يفرون من القتال .

مسؤولاً : جديراً بالوفاء .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يعرف المؤمن جانباً من رحمة الله بالمؤمنين فى سورة الأحزاب .

٢ ـ أن يشعر المؤمن بالثقة والطمأنينة فى نصر الله .

٣ ـ أن يثبت قلب المؤمن فى كل شدة وكل نائبة .

المحتوى التربوى :

يشير السياق إلى ميثاق الله مع النبيين عامة ، والنبى ﷺ وأولى العزم من الرسل خاصة فى حمل أمانة هذا المنهج ، والاستقامة عليه ، وتبليغه للناس ، والقيام عليه فى الأمم التى أرسلوا إليها ، وذلك حتى يكون الناس مسؤولين عن هداهم وضلالهم وإيمانهم وكفرهم ، بعد انقطاع الحجة بتبليغ الرسل عليهم صلوات الله وسلامه .

إنه ميثاق واحد مطرد من لدن نوح عليه السلام إلى خاتم النبيين محمد ﷺ ميثاق واحد ، ومنهج واحد ، وأمانة واحدة يتسلمها كل منهم حتى يسلمها .

قال النسفى : « وقدم لرسول الله ﷺ على نوح ومن بعده لأن هذا العطف لبيان فضيلة هؤلاء لأنهم أولو العزم وأصحاب الشرائع فلما كان محمد صلى ﷺ أفضل هؤلاء قُدّم عليهم ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه . **وقال ابن كثير** : فبدأ فى هذه الآية بالخاتم لشرفه صلوات الله وسلامه عليه ثم رتبهم حسب وجودهم صلوات الله وسلامه عليهم .

يقول صاحب الظلال : « ووصف الميثاق بأنه غليظ منظور فيه إلى الأصل اللغوى للفظ ميثاق ـ وهو الحبل المفتول ـ الذى استعير للعهد والرابطة ، وفيه من جانب آخر تجسيم للمعنوى يزيد إيحاءه للمشاعر .. وإنه لميثاق غليظ متين ذلك الميثاق بين الله ، والمختارين من عباده ، ليتلقوا وحيه ، ويبلغوا عنه ، ويقوموا على منهجه فى أمانة واستقامة » .

وتشير الآيات لوحدة الرسالة الإنسانية ، وإن الله أخذ الميثاق على الأنبياء بتبليغ الوحى ، وأداء الأمانة ، ويوم القيامة يظهر صدق الصادقين وكذب الكاذبين ، والله عليم بهم وسؤالهم عن صدقهم يوم القيامة كما يسأل المعلم التلميذ النجيبَ الناجح عن إجابته التى استحق بها النجاح والتفوق أمام المدعوين لحفل النتائج ! سؤال للتكريم والثناء على المستحقين للتكريم .

ثم تواصل الآيات بيان فضل الله على المؤمنين بأن رد عنهم الجيش الذى همّ أن يستأصلهم ، وهنا تبرز نعمة الله التى يذكرهم بها ، ويطلب إليهم أن يتذكروها ، وليظهر أن الله الذى يأمر المؤمنين باتباع وحيه ، والتوكل عليه وحده ، وعدم طاعة الكافرين والمنافقين ، هو الذى يحمى القائمين على دعوته ومنهجه من عدوان الكافرين والمنافقين .

ولإكمال الصورة تأتى صورة الهول الذى روع المدينة ، والكرب الذى شملها ، والذى لم ينج منه أحد من أهلها ، وقد أطلق عليها المشركون من قريش وغطفان واليهود من بنى قريظة من كل جانب من أعلاها ومن أسفلها ، وهنا لم يختلف الشعور بالكرب والهول فى قلب عن قلب ، وإنما الذى اختلف هو استجابة تلك القلوب ، وظنها بالله ، وسلوكها فى الشدة وتصوراتها للقيم والأسباب والنتائج ، ومن ثم كان الابتلاء كاملا والامتحان دقيقا ، والتمييز بين المؤمنين والمنافقين حاسماً لا تردد فيه .

ثم يورد القرآن وصفاً دقيقاً للمنافقين أثناء المعركة كما **يقول صاحب الظلال** : « فقد هؤلاء فى الكرب المزلزل ، والشدة الآخذة بالخناق فرصة للكشف عن خبيئة نفوسهم وهم آمنون من أن يلومهم أحد ، وفرصة للتوهين والتشكيك ، وهم مع هذا منطقيون مع أنفسهم ومشاعرهم ، فالهول قد أزاح عنهم ذلك الستار الرقيق من التجمل ، وروع نفوسهم ترويعا لا يثبت له إيمانهم المهلهل ، فجهروا بحقيقة ما يشعرون غير مبقين ولا متجملين » .

إن النص القرآنى فى عرضه لموقف المؤمنين والمنافقين فى غزوة الأحزاب يصلح للعمل فى وسط وكل زمان كما يقول صاحب الظلال « لم يدع الله المسلمين لهذه المشاعر وحدها تربيهم ، وتنضج شخصيتهم المسلمة بل أخذهم بالتجارب الواقعية ، والابتلاءات التى تأخذ منهم وتعطى ، وكل ذلك لحكمة يعلمها ، وهو أعلم بمن خلق ، وهو اللطيف الخبير ... ، النص القرآنى يغفل أسماء الأشخاص ، وأعيان الذوات ، ليصور نماذج البشر ، وأنماط الطباع ، ويغفل تفصيلات الحوادث وجزئيات الواقع ، ليصور القيم الثابتة والسنن الباقية ، هذه التى لا تنتهى انتهاء الحادث ، ولا تنقطع لذهاب الأشخاص ، ولا تنقضى بانقضاء الملابسات » .

يذكر صاحب الأساس ملاحظة مهمة : « إن القرآن سجل لنا فى كل معركة عبرة رئيسية ، فغزوة بدر عبرتها الرئيسية أن لله نصراً خاصاً ينزله على عباده المؤمنين ، إذا تحققوا بشروطه ، ولو كانت الموازين العادية للنصر ليست متوفرة ، والعبرة من غزوة أحد أن أى إخلال بطاعة القيادة يترتب عليه خلل ، والعبرة الرئيسية من غزوة الأحزاب أنه متى تألب أعداء الله على المسلمين فإنه سيبعث لهم فرجا من حيث لا يحتسبون إذا ثبتوا وصدقوا، وعبرة غزوة حنين الرئيسية أن أى خلل نفس تخرج به النفس الإسلامية عن ربانيتها، واعتمادها على الله وحده يؤدى إلى الهزيمة، وعبرة غزوة تبوك أن المسلم عليه فى كل حال أن يشارك فى الجهاد مهما كان الوضع قاسيا ، وعبرة صلح الحديبية أن يثق المسلم فى قرار قيادته الإسلامية ، ويسلم له ولو كان غير مرتاح له وفى المقطع الذى مر معنا والذى سجل قصة الأحزاب درس من أعظم دروس الحرب والسلام لهذه الأمة ، فهو درس يرتقى به المسلم إلى الذروة العليا من التقوى إذا تحقق به ، ويتخلص به من رواسب الكفر والنفاق إذا استوعبه والتزمه .

وتحتوى الأحزاب على دروس تربوية كثيرة منها : الانقياد لله ، ومعرفة طريق الصادقين وطريق الكاذبين ، والتأسى بالرسول فى أحواله ، والحذر من المنافقين وغيرها من الدروس » .

غزوة الأحزاب أظهرت أن اليهود لا عهد لهم وأن خيانتهم لا عقاب لها إلا بالإعدام وهذا ما فعله رسول الله ﷺ فى بنى قريظة .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ الحذر من النفاق وأهله .

٢ ـ أن يتذكر المؤمن دائما نعم الله عليه .

٣ ـ أن يحسن المؤمن الظن بالله ؛ لأن سوء الظن بالله تعالى كفر ونفاق .

٤ ـ وجوب الوفاء بالعهد ، ونقض العهد من علامات النفاق .

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا
لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ
أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ
لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّةً
عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ
كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ
بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ
اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ
لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ
فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ
مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (٢٠) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)
وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢)

الحزب ٤٢

معانى الكلمات :

يعصمكم : يحميكم .

ولياً : مجيراً .

هلّم : تعالوا معنا .

البأس : الحرب والقتال .

سلقوكم : آذوكم .

ألسنة حداد: ألسنة سليطة قاطعة كالحديد.

أحبط الله أعمالهم : أبطلها .

لم يذهبوا : لم ينصرفوا .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يعرف المؤمن جوانب القدوة فى رسول الله ﷺ فى غزوة الأحزاب .

٢ ـ أن يستشعر المؤمن عظمة الشخصية المحمدية .

٣ ـ أن يقتدى المؤمن بسلوك الرسول والمؤمنين فى وقت الشدة واليأس .

المحتوى التربوى :

تشير الآيات القرآنية للتسليم لله وأن قدر الله لا رادّ له **فيقول صاحب الظلال : « إن قدر الله** هو المسيطر على الأحداث والمصائر، يدفعها فى الطريق المرسوم ، وينتهى بها إلى النهاية المحتومة ، والموت أو القتل قدر لا مفر من لقائه فى موعده ، لا يستقدم لحظة ولا يستأخر . ولن ينفع الفرار فى دفع القدر المحتوم عن فارّ ، فإذا فروا فإنهم ملاقون حتفهم المكتوب ، فى موعده القريب وكل موعد فى الدنيا قريب وكل متاع فيها قليل ولا عاصم من الله ولا من يحول دون نفاذ مشيئته سواء أراد بهم سوءًا أم أراد بهم رحمة ولا مولى لهم ، ولا نصير من دون الله يحميهم ويمنعهم من قدر الله » .

ثم يعرض القرآن صورة نفسية مبدعة تثير الضحك والسخرية من هذا النموذج المكرر من الناس ، صورة للجبن والانزواء والهلع والفزع فى ساعة الشدة ، والانتفاش وسلاطة اللسان عند الرخاء ، والشح على الخير والضن ببذل أى جهد فيه .

وهذا النموذج **يقول عنه صاحب الظلال** :« لا ينقطع فى جيل ولا فى قبيل فهو موجود دائماً ، وهو شجاع فصيح بارز حيثما كان هناك أمن ورخاء ، وهو جبان صامت منزوٍ حيثما كان كان شدة وخوف ، وهو شحيح بخيل على الخير وأهل الخير ، لا ينالهم منه إلا سلطة اللسان » .

وتستمر الآيات فى تصوير الموقف المخزى للمنافقين فهم يسألون المؤمنين سؤال الغريب عن الغريب فى البعد والانفصال . والنجاة من الأهوال .

ثم تواصل الآيات ذكر ما يتعلق فى سورة الأحزاب ، ثم التوجيه المستفاد من هذه الغزوة، وهو كون الرسول قدوة حسنة .

وعن القدوة نورد ما ذكره الدكتور محمد أبو شهبة فى كتابه: (« السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة) .

« ونحن لا ننكر أن فى تاريخ البشرية ـ ولا سيما الصفوة من الخلق وهم الأنبياء والمرسلون أناساً فضلاء ذوى أخلاق ودين ـ وهداة ومصلحين ، وعلماء وحكماء ، ومشرعين وفقهاء ، وملوكاً ، ملؤوا الدنيا عدلاً ، بعد أن ملئت جوراً ، ورجالا أوفياء لا يغدرون ولا يخونون ، سادة قادة ، ساسة عباقرة وقوادًا شجعانا ، وأبطالا لا يرهبون الموت ، وأن البشرية لا تخلو فى أى عصر من أمثال هؤلاء » .

ولكن الذى نلاحظه أنه لا يوجد رجل اجتمعت فيه كل هذه الصفات والمميزات مثل ما اجتمعت فى نبينا محمد ﷺ ، ولا نكاد نعرف أحداً كمله الله بكل فضيلة ، ونزهه عن كل رذيلة ، مثل ما عرفنا ذلك لرسولنا محمد ﷺ .

وليس العجيب من اجتماع هذه الصفات فيه ، وإنما العجب حقاً أنها فيه على سواء ، فلا صفة تطغى على أخرى حتى تكاد تطمسها ، ولا خلق يربو على آخر حتى يكاد يخفى معالمه ، وإنما هى صفات وزنت بميزان عادل لا يعول، وأخلاق حسبت بحساب دقيق لا يضل .

لقد كان من منّ الله على المؤمنين أن الرسول ﷺ جمعت سيرته ، كل كلمة ، كل لمحة بل الضجعة والأكله والشربة حتى يقتدى به المؤمنون فى كل أحوالهم » .

ثم يتابع السياق القرآنى ذكر قصة الأحزاب وثقة المؤمنين بالله عز وجل ، والثقة ببشارة الرسول ﷺ لهم ، تلك البشارة التى تتجاوز الموقف كله إلى فتوح اليمن والشام والمغرب والمشرق ـ على الرغم من هذا كله ، فإن الهول الذى كان حاضراً يواجههم كان يزلزلهم ويزعجهم ويكرب أنفاسهم ، ويبرز صاحب **الظلال** حالتهم بقوله : « ومما يصور هذه الحالة أبلغ تصوير خبر حذيفة والرسول ﷺ يحس حالة أصحابه ، ويرى نفوسهم من داخلها ، فيقول : « من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ، يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة أسأل الله تعالى أن يكون رفيقى فى الجنة ، ومع هذا الشرط بالرجعة ، ومع الدعاء المضمون بالرفق مع رسول الله فى الجنة ؛ فإن أحداً لا يلبى النداء ، فإذا عين بالاسم حذيفة ، قال : فلم يكن لى من القوم حين يدعونى ! ألا إن هذا لا يقع إلا فى أقصى درجات الزلزلة » .

ولقد اتخذ المؤمنون من شعورهم بالزلزلة فى انتظار النصر ، ذلك أنهم صدقوا قول الله سبحانه من قبل : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (البقرة : ٢١٤) .

وقد استنبط صاحب الأساس عدة فوائد منها :

« ١ ـ عبرة الأحزاب االرئيسية أنه متى تألب أعداء الله على المسلمين فإنه سيبعث لهم فرجًا من حيث لا يحتسبون إذا ثبتوا وصدقوا .

٢ ـ ومن دروس المقطع أنه أعطانا صورة من النفاق فى ساعات المحنة : شك فى موعود الله ، بتيئيس للمسلمين ، استعداد للكفر ، نقص للعهد ...

٣ ـ من مواطن الخطأ فى الفهم ما فهمه بعضهم من قوله تعالى : ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ ﴾ إذ فهم بعضهم أن من فرّ من الموت أو القتل يزيد عمره وهو فهم مخالف للنصوص والإجماع ولم يقل به إلا المعتزلة إذ النصوص كثيرة فى أن الإنسان لا يموت ولا يقتل إلا بأجله » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :

١ ـ التضرع والإقبال على الله عز وجل من أسباب النصر .

٢ ـ وجوب الاقتداء برسول الله فى كل ما يطيقه العبد المسلم ويقدر عليه .

٣ ـ حسن الظن بالله يمدوح وأن سوء الظن به تعالى كفر ونفاق .

مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن
قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ
ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ
أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ
أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ
فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ
وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ
سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ
ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾
يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ
لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾
٤٢١

معانى الكلمات :

قضى نحبه : مات شهيداً .

ينتظر : ينتظر الشهادة .

ينالوا خيرا : يحصلوا نصرا .

الذين ظاهروهم : يهود بنى قريظة.

صياصيهم : حصونهم .

تطؤوهم : تدوسوها .

أسرحكن : أطلقكن .

فاحشة مبينة : معصية ظاهرة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يعلم المسلم بعض جوانب القدوة فى الصحابة رضوان الله عليهم .

٢ ـ أن يشعر المسلم بسمو التربية النبوية للصحابة رضوان الله عليهم .

٣ ـ أن يجاهد المسلم فى سبيل الله ما استطاع بالنفس ، بالمال ، أو بغير ذلك من أنواع الجهاد .

المحتوى التربوى :

يواصل النسق القرآنى ذكر المؤمنين وصدقهم مع الله عز وجل ، فهم كتيبة واحدة عيونهم على النصر والشهادة لم تتغير مبادئهم ، ولا عقائدهم يرجون الله عز وجل أن يقر أعينهم بالشهادة التى حازها إخوانهم .

ومن شأن اختبار المؤمنين تمييز الصادق من الكاذب ، وذلك لرد الأمور إلى الله فهو المتصرف فى الأمر كله إلى الله ، وتكشف عن حكمة الأحداث والوقائع ، فليس شىء منها عبثا ولا مصادفة ، إنما تقع وفق حكمة مقدرة ، وتدبير قاصد وتنتهى إلى ما شاء الله من العواقب ، وفيها تتجلى رحمة الله بعباده ، ورحمته ومغفرته أقرب وأكبر .

ثم ذكر الله منته وفضله فى رد الكفار عن المؤمنين ، وعادوا بغيظهم وحقدهم مدحورين مهزومين ، وهنا يظهر فضل الله ، ويقر المؤمن بأن المقادير بيد الله يصرفها كما يشاء وفق حكمته وإراته ، وهذا ما ينبغى أن يكون عليه التصور الإنسانى للأمور كلها .

ثم تتحدث الآيات عن موقف اليهود وعقاب الله لهم وكما أكمل الله النعمة للمؤمنين برد الأحزاب بأن طرد اليهود من حصونهم ، وألقى الله فى قلوب اليهود سلاح الرعب ، وأسر المسلمون نساءهم وذراريهم وقتل رجالهم ، وأنعم الله على المؤمنين بأرضهم وديارهم .

كل هذا الفضل والإنعام على المؤمنين بسبب الطاعة لله والثقة بنصر الله ووعده ، وإنها لنموذج حىّ للمؤمنين فى كل مكان وزمان للمؤمنين الذين تحيط بهم الأخطار بأن الله معهم ، يكلؤهم بعنايته ، ويحوطهم بحمايته فالله لديه القدرة والتمكين .

وبعد انتهاء الحديث عن قصة الأحزاب ، وبيان فضل الله فى حفظ الدولة المسلمة تنتقل الآيات إلى ما يحفظ المجتمع المسلم من داخله بآيتى التخيير اللتين تحددان الطريق ، فإما الحياة الدنيا وزينتها ، وإما الله ورسوله والدار الآخرة ، فالقلب الواحد لا يسع تصورين للحياة .

إن هذا الحادث يحتاج لتدبر كما **يقول صاحب الظلال** : « **إنه يحدد التصور الإسلامى للقيم** ، ويرسم الطريق الشعورى للإحساس بالدنيا والآخرة ، ويحسم فى القلب المسلم كل أرجحة وكل لجلجة من قيم الدنيا وقيم الآخرة .

هذا من جانب ومن الجانب الآخر يصور لنا هذا الحادث حقيقة حياة رسول الله ﷺ والذين عاشوا معه اتصلوا به ، وأجمل ما فى هذه الحقيقة أن تلك الحياة كانت حياة إنسان وحياة ناس من البشر ، لم يتجردوا من بشريتهم ومشاعرهم وسماتهم الإنسانية » .

وكثيراً ما نخطئ نحن حين نصور النبى ﷺ وصحابته ـ رضوان الله عليهم ـ صورة غير حقيقية أو غير كاملة ، فنجردهم فيها من كل المشاعر والعواطف البشرية ، حاسبين أننا نرفعهم بهذا وننزههم عما نعده نحن نقصاً وضعفاً .

وهذا الخطأ يرسم لهم صورة غير واقعية ، صورة ملفقة بهالات ضخمة تشعرنا أنهم ملائكة ، وهذه الصورة تجعلنا نيأس من الاقتداء بهم ، وهنا تفقد سيرة النبى ﷺ أهم عنصر محرك ، وهو استجاشة مشاعرنا للتحرك والاتباع .

حكمة الله واضحة فى أن يختار رسله من البشر ، لا من الملائكة ولا من أى خلق آخر غير البشر ، كى تبقى الصلة الحقيقية بين حياة الرسل وحياة أتباعهم قائمة ، ونلحظ فى قصة التخيير الرغبات الطبيعية فى نفوس أزواج النبى ﷺ ثم ترتفع نفوس أزواج النبى ﷺ عن هذه الرغبات عن اختيار لا إجبار .

ثم يأتى النص القرآنى بتوجيه لأزواج النبى ﷺ أن المعصية منهن عقوبتها مضاعفة ،لأنهن فى مقام كريم ، وهذا تذكير للدعاة أن يتجنبوا الذنوب ، فالذنب منهم أفدح .

يقول صاحب الظلال على المعركة : « إن النص القرآنى يغفل أسماء الأشخاص وأعيان الذوات ؛ ليصور نماذج البشر وأنماط الطباع ويغفل تفصيلات الحوادث وجزئيات الوقائع ليصور القيم الثابتة والسنن الباقية . هذه التى لا تنتهى بانتهاء الحادث ولا تنقطع بذهاب الأشخاص ولا تنقضى بانقضاء الملابسات ، ومن ثم تبقى قاعدة ومثلًا لكل جيل وكل قبيلة، ويحفل بربط المواقف والحوادث بقدر الله المسيطر على الأحداث والأشخاص ويظهر فيها يد الله قادرة وتدبيره اللطيف ، ويقف عند كل مرحلة فى المعركة للتوجيه والتعقيب والربط بالأصل الكبير » .

إن النص القرآنى معد للعمل لا فى وسط أولئك الذين عاصروا الحادث وشاهدوه فحسب، ولكن كذلك للعمل فى كل وسط بعد ذلك ، وفى كل تاريخ معد للعمل فى النفس البشرية إطلاقًا كلما واجهت مثل ذلك الحادث أو شبهة فى الآماد الطويلة والبيئات المنوعة بنفس القوة التى عمل بها فى الجماعة الأولى .

إن القرآن ليس كتابًا للتلاوة ولا للثقافة .. وكفى .. إنما هو رصيد من الحيوية الدافعة وإيحاء متجدد فى المواقف والحوادث ! ونصوص مهيأة للعمل فى كل لحظة متى وجد القلب الذى يتعاطف معه ويتجاوب ووجد الظرف الذى يطلق الطاقة المكنونة فى تلك النصوص ذات السر العجيب .

وإن الإنسان ليقرأ النص القرآنى مئات المرات ثم يقف الموقف أو يواجه الحادث فإذا النص القرآنى جديد يوحى إليه بما لم يوح من قبل ويجيب على السؤال الحائر ويفتى فى المشكلة المعقدة ويكشف الطريق الخافى ويرسم الاتجاه القاصد ويفيء بالقلب إلى اليقين الجازم فى الأمر الذى يوجهه وإلى الاطمئنان العميق وليس ذلك لغير القرآن فى قديم ولا حديث .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ أن يتذكر المسلم الشهادة وفضلها وأن تكون أسمى أمانيه .

٢ ـ أن يثبت قلب المؤمن عند كل شدة ، وأن يعى قول الرسول ﷺ : « تعرف على الله وقت الرخاء يعرفك فى الشدة ».

٣ ـ أن يتقى الدعاة الله فى كل أعمالهم .

وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ
أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ
لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ
فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ
فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا
يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾
إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ
وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ
وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ
فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا
وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

٤٢٢

معانى الكلمات :

يقنت منكن : تواظب على طاعة الله .

لا تخضعن بالقول : لا ترققن القول .

قلن قولا معروفا : تكلمن كلاما جاداً .

قرن فى بيوتكن : ابقين .

ولا تبرجن : لا تبدين الزينة الواجب سترها .

الرجس : النقص .

القانتين : العابدين .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن تعلم على المرأة المسلمة ما يجب أن تسلكه فى بيتها وتعاملها مع الأجانب .

٢ ـ أن يشعر المسلم بجانب القدوة فى سلوك النبى ﷺ فى بيته .

٣ ـ أن تسير نساؤنا وأخواتنا وبناتنا على تشريعات الإسلام وتوجيهاته .

المحتوى التربوى :

تواصل الآيات الحديث إلى أمهات المؤمنين ببيان الجزاء المدخر لهن إن اتقين الله ، فالجزاء لهم مضاعف فضلا من الله ومنة ، والسياق القرآنى يعلل مضاعفة العذاب حين المعصية ، ومضاعفة الأجر حين الطاعة هو كونهن لسن كمثل الناس .

قال الإمام الشوكانى فى قوله : « ﴿ ٱتَّقَيْتُنَّ ﴾ بين سبحانه أن هذه الفضيلة لهن إنما تكون بملازمتهن للتقوى ، لا لمجرد اتصالهن بالنبى ﷺ » .

وهذا هو الحق الصارم الحاسم الذى يقوم عليه هذا الدين ، والذى يقرره رسول الله ﷺ وهو ينادى أهله ألا يغرنهم مكانهم من قرابته ، فإنه لا يملك لهم من الله شيئاً . « يا فاطمة ابنة محمد ،

يا صفية ابنة عبد المطلب ، يا بنى عبد المطلب ، لا أملك لكم من الله شيئاً . سلونى من ما لى ما شئتم » .

ولحفظ كيان الأسرة المسلمة وصونا للمجتمع تأتى توجيهات للنساء المؤمنات بأن يرتدين ثياب الحشمة والوقار ، وعدم التبرج ، وأن يلزمن طاعة الله ورسوله ، ويشير صاحب **الظلال** لأمر جدير بالتنبيه وهو: « من هن اللواتى يحذرهن الله هذا التحذير إنهن أزواج النبى ﷺ وأمهات المؤمنين اللواتى لا يطمع فيهن طامع ، وفى أى عهد ؟ فى عهد النبى ﷺ .

فى عهد الصفوة المختارة من البشرية فى جميع الأعصار ، ولكن الله الذى خلق الرجال والنساء يعلم أن فى صوت المرأة حين تخضع بالقول ، وتترقق فى اللفظ ما يثير الطمع فى قلوب ضعفاءالإيمان ، ويهيج الفتنة فى كل بيئه ، وتجاه كل امرأة ، ولو كانت هى زوج النبى الكريم .

فكيف بهذا المجتمع الذى نعيش فيه ، فى عصرنا المريض الدنس الهابط الذى تهيج فيه الفتن ، وتثور فيه الشهوات » .

ثم تواصل الآيات الإرشاد القرآنى للمؤمنات بأن يمكثن فى بيوتهن ، وهى أعظم مهمة للمرأة وهو لتربية أولادها والعناية بزوجها ، وتلك مهمة تقوم بها الأم المتفرغة ، أما الأم المرهقة المكدودة المقيدة بالعمل ومواعيده ، لا تستطيع أن تقوم بما تقوم به المرأة المتفرغة .

وعن تبرج الجاهلية الأولى يقول ابن كثير : « كانت المرأة منهن تمر بين الرجال مسفحة صدرها لا يواريه شىء ، وربما أظهرت عنقها وشعرها وأقرطة آذانها ، فأمر الله المؤمنات أن يسترن فى هيئاتهن وأحوالهن » .

ويذكر السياق القرآنى الزاد الذى تستعين به المرأة المؤمنة لتنفيذ أوامر الله وأحكامه وتشريعاته وهو العبادة من صلاة وزكاة وطاعة للرسول ﷺ ويقول صاحب **الظلال** : « وعبادة الله ليست بمعزل عن السلوك الاجتماعى أو الأخلاقى فى الحياة ، إنما هى الطريق للارتفاع إلى ذلك المستوى، والزاد الذى يقطع به السالك الطريق، فلابد من صلة بالله يأتى منها المدد والزاد، ولابد من صلة بالله تطهر القلب وتزكيه ، ولابد من صلة بالله يرتفع بها الفرد على عرف الناس وتقاليد المجتمع وضغط البيئة » .

ثم يمضى السياق القرآنى لبيان عاقبة الأوامر والتوجيهات ، وهى إذهاب الرجس وتطهير البيت ، وهذا هو الإسلام شعور وتقوى فى الضمير ، وسلوك وعمل فى الحياة ، يتم بهما معاً تمام الإسلام ، وتتحقق بهما أهدافه واتجاهاته فى الحياة .

ثم يُذكّر النص القرآنى بنعمة الله على المؤمنات كما يوضح ذلك الإمام الشوكانى : « أى اذكرن موضع النعمة إذ صيركن الله فى بيوت يُتلى فيها آيات الله والحكمة ، أو اذكرنها وتفكرن فيها ليتعظن بمواعظ الله » .

وهذا التذكير كما **يقول صاحب الظلال** : « يجىء فى ختام الخطاب الذى بدأ بتخيير نساء النبى ﷺ بين متاع الحياة الدنيا وزينتها ، وإيثار الله ورسوله والدار الآخرة فتبدو جزالة النعمة التى ميزهن الله بها » .

لقد جاء القرآن ليحدد القيم الأساسية فى تصور الإسلام للحياة ، هذه القيم التى ينبغى أن تجد ترجمتها الحية فى بيت النبى ﷺ وحياته الخاصة وأن تتحقق فى أدق صورها وأوضحها فى هذا البيت الذى كان وسيبقى منارة للمسلمين وللإسلام حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

ونزلت آيتا التخيير تحددان الطريق فإما الحياة الدنيا وزينتها وإما الله ورسوله والدار الآخرة، فالقلب الواحد لا يسع تصورين للحياة وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه .

ونحب أن نقف لحظات أمام هذا الحادث نتدبره من بعض زواياه ، إنه يحدد التصور الإسلامى الواضح للقيم ، ويرسم الطريق الشعورى للإحساس بالدنيا والآخرة ويحسم فى القلب المسلم كل أرجحة وكل لجلجة بين قيم الدنيا وقيم الآخرة بين الاتجاه إلى الأرض والاتجاه إلى السماء ، ويخلص هذا القلب من كل وشيجة غريبة تحول بينه وبين التجرد والخلوص له وحده دوان سواه .

وفى حادث التخيير نقف أمام الرغبة الطبيعية فى نفوس نساء النبى ﷺ فى المتاع ، كما نقف أمام صورة الحياة البيتية للنبى ﷺ ونسائه رضى الله عنهن ، وهن أزواج يراجعن زوجهن فى أمر النفقة فيؤذيه هذا، ولكن لا يقبل من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما أن يضربا عائشة وحفصة على هذه المراجعة.

فالمسألة مسألة مشاعر وميول بشرية تصفى وترفع ولكنها لا تخمد ولا تكبت ، ويظل الأمر كذلك حتى يأتيه أمر الله بتخيير نسائه فيخترن الله ورسوله والدار الآخرة اختيارًا لا إكراه فيه ولا كبت ولا ضغط ، فيفرح قلب رسول الله ﷺ بارتفاع قلوب أزواجه إلى هذا الأفق السامى الوضىء .

ثم يأتى النص القرآنى بذكر صفات يجب أن تتحقق فى الجماعة المؤمنة رجالها ونسائها ، وتذكر المرأة فى الآية بجانب الرجل كطرف من عمل الإسلام فى رفع قيمة المرأة .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ أن يكون الدعاة قدوة طيبة لغيرهم .

٢ ـ المسؤولية الفردية على الأعمال فى الحساب أمام الله ، ولن ينفع أحد غيره .

٣ ـ العناية الشديدة بالفتاة المسلمة بتوجيهها فى ملبسها وتعليمها وتذكيرها بالله تعالى .

سورة الأحزاب
وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ
لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا
مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ
أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ
مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ
مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ
أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا
﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى
ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ
يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ
بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن
رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم
مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾
٤٢٣

معانى الكلمات :

قضى : حكم .

وطراً : حاجة .

حرج : إثم .

قدراً مقدوراً : قضاء نافذا .

بكرة وأصيلا : أول النهار وآخره .

يصلى : يرحمكم .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يعرف المسلم جانبا من قصة زواج النبى ﷺ من زينب بنت جحش ، وإبطال التبنى .

٢ ـ أن يشعر المسلم بفضل الله فى تشريعاته بإبطال التبنى .

٣ ـ أن يأمر المسلم بالمعروف وينهى عن المنكر ، وألا يباهى بمن يقف فى طريق دعوة الحق .

المحتوى التربوى :

تمضى الآيات القرآنية فى ذكر مقوم من مقومات العقيدة هو التسليم لقضاء الله ، وأن المؤمنين ليس لهم من أنفسهم شىء ؛ لأنهم لا يعرفون الرواية الكاملة ، فهم أجزاء هذا الكون الذى قدره الله ، وعند التسليم لله فى كل أمر ترضى النفوس بكل شىء قدره الله بنفس مطمئنة ، تستقبل قدر الله استقبال العارف المنتظر المرتقب لأمر مألوف فى حسه .

ومع الاستسلام لله عز وجل بأن المؤمنين يعملون ما يقدرون عليه، ويبذلون ما يملكون كله، ولا يضيعون وقتا ولا جهداً ، ولا يتركون حيلة ولا وسيلة .

وهذا التوازن بين الاستسلام المطلق بقدر الله ، والعمل الجاهد بكل ما فى الطاقة ، والوقوف المطمئن عند ما يستطيعون . . هذا التوازن هو السمة التى طبعت حياة تلك المجموعة وميزتها .

ثم يمضى النسق القرآنى ليوضح حادث زواج النبى ﷺ من زينب بنت جحش زوج زيد بن حارثة وتزوجها الرسول ﷺ بعد طلاقها من زيد وذلك لإبطال نظام التبنى ، وكان لهذا النظام آثار واقعية فى حياة الجماعة العربية ، ولم يكن إبطال هذه الآثار الواقعية فى حياة المجتمع ليمضى بالسهولة التى يمضى بها إبطال تقليد النبى ، فالتقاليد الاجتماعية أعمق أثراً فى النفوس .

إن الآيات تشير إلى توجيه هام فى حياة الفرد والمجتمع المسلم وهو أن يوجه المسلم حياته وأمور مجتمعه على نظم الإسلام وأحكامه وتشريعاته ، من توجيه المجتمع حسب لذاتنا وأهوائنا فهو الضلال والخسران المبين .

ثم تواصل الآيات ذكر قصة تطليق زيد لزينب ، وطلب النبى ﷺ أن يمسك عليه زوجه مع أن الله ألهم النبى ﷺ أنه سيتزوجها ، بل إن زواجه من زينب أمر من الله ومواجهة التقاليد الجاهلية الراسخة الثابتة .

كانت هذه المواجهة كما **يقول صاحب الظلال** : « كانت هذه إحدى ضرائب الرسالة الباهظة حملها رسول الله ﷺ فيما حمل ، وواجه بها المجتمع الكاره لها كل الكراهية ، حتى يتردد فى مواجهته بها ، وهو الذى لم يتردد فى مواجهته بعقيدة التوحيد ، وذم الآلهة والشركاء وتخطئة الآباء والأجداد » .

وتأتى الآيات لتذكر صفة أساسية فى الرسل وأصحاب الدعوات وهى أنهم لا يخشون إلا الله ، ولا يبالون بقول الناس ، ولا يحسبون للخلق حسابا ، ذلك أن الرسل يأتون فى أوقات فسد فيها حال الناس ، وحادت عن الصراط المستقيم ، فيواجهون الناس بانحرافاتهم ، ويبلغونهم رسالات ربهم ويلخص ذلك **صاحب الأساس** فى قوله : « دلت الآية على أن أحداً لا يستطيع أن يقوم بأعباء البلاغ كاملة إلا من خلا قلبه من خشية البشر » .

ثم تواصل الآيات ذكر قصة زواج النبى ﷺ من زينب بنت جحش وإبطال التبنى ، **يقول صاحب الأساس** : جاءت قصة زينب رضى الله عنها فى سياق المقطع الثالث فأدت مجموعة معانٍ فى ملحها :

١ ـ أرتنا أن زواج الرسول ﷺ مسألة يتدخل فيها الله عز وجل تدخلًا مباشرًا ، ومن ثم فإن هذا درس لنساء الرسول ﷺ فى معرفة ذلك ودرس للمؤمنين فيعطوا هذا الموضوع حقه من الفهم والعلم والاحترام والتوقير ، وهذا أول مظاهر ارتباط الآيات الأخيرة بمقطعها .

٢ ـ أرتنا الآيات حكمة زواج الرسول ﷺ بزينب ، وفى ذلك درس أن رسول الله ﷺ إذا تزوج فإنه يفعل ذلك لحكمة ، وهذا يقتضى من أزواجه أدبا ومن المؤمنين معرفة وأدبا وتسليمًا

٣ ـ تعطينا هذه الآيات نموذجًا من نماذج التربية الربانية لرسول الله ﷺ فى سياق السورة المبدوءة بالأمر بالتقوى والاتباع ورفض طاعة الكافرين والمنافقين والتوكل ، فترينا موضوعًا تطبيقيا لكيفية أن أمر الله فيه المصلحة الخالصة الكاملة ومن ثم فلا ينبغى لأحد أن يتلكأ عنه مهما كانت الضغوط الاجتماعية الكافرة والمنافقة العنيفة .

٤ ـ كما تعطينا الآيات دروسًا فى الإيمان والإسلام والمواصفات العليا للمسلم الكامل الذى مرت مواصفاته فى آية : ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ ﴾ كما تعطينا درسًا عمليًا فى مواقف المسلمين الكاملين فى التسليم فى كل حال والطاعة فى كل حال والصبر على كل حال .

فمكانة النبى ﷺ فى مقام عظيم فهو رسول الله ، وهو خاتم النبيين ، وذلك لأن النبى ﷺ فى مقام القدرة فى جميع أقواله وأفعاله وأحواله ، فى ليله ونهاره ، وحضره ، وسره وعلانيته .

ثم تتواصل التوجيهات القرآنية للمؤمنين لذكر الله ، وذكر الله اتصال القلب ، والاشتغال بمراقبته ، وليس المقصود بالذكر الصلاة فقط ، بل يشمل كل صورة يتذكر فيها العبد ربه ، ويتصل به قلبه سواء جهر بلسانه بهذا الذكر أم لم يجهر ، وإن القلب ليظل فارغا أو لاهيا أو حائرا حتى يتصل بالله ويذكره ويأنس به .

إن ذكر الجزاء دافع على العمل ؛ لذا فقد وعد الله الذاكرين بالخير فى الملأ الأعلى بالرحمة والمغفرة لهم كما يقول رسول الله ﷺ : « يقول الله تعالى : من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ نبذ العادات غير الإسلامية ، وتوطين المؤمن على أوامر الشرع .

٢ ـ الحكمة فى عرض قضايا الدين وتوضيح جانب الخير فى اتباع أوامر الله،والعاقبة الوخيمة من اتباع أوامر الله ، والعاقبة الوخيمة من اتباع الضلالة .

٣ ـ وجوب ذكر الله دائماً كثيرا ليل نهار .

الجزء الثاني والعشرون ‏ سورة الأحزاب

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا
إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم
مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ
مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ
فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ
أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ
يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ
وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً
مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا
خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا
عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾

٤٢٤

معانى الكلمات :

سراجا منيراً : مصباحاً مضيئاً .

تمسوهن : تدخلوا بهن .

سرحوهن : طلقوهن .

آتيت أجورهن : أعطيت مهورهن .

أفاء الله عليك : أعطاه إياك .

يستنكحها . يتزوجها .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يعرف المسلم كيفية تعامل الدعاة مع أقوامهم .

٢ ـ أن يشعر المؤمن بالتبعة الملقاة عليه فى تبليغ دعوة الله .

٣ ـ أن يبلغ المسلم دعوة ربه ما استطاع .

المحتوى التربوى :

تواصل الآيات ذكر فضل الله على المؤمنين الذين اجتهدوا فى الطاعة، يلقون الحفاوة من رب العالمين بقوله تعالى لهم : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ هو سلام من كل خوف ، من كل تعب ، من كل كدّ ، بجانب الجزاء الكريم المُعدّ للمؤمنين .

وأما النبى الذى يبلغهم اختيار الله لهم ، ويحقق بسنته العملية ما اختاره الله وشرعه للعباد ،فيلتفت السياق إلى بيان وظيفته وفضله على المؤمنين فى هذا المقام .

قد لا حظ صاحب الأساس عدة فوائد فى قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ .

١ ـ **قال ابن كثير** : روى ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ وقد كان أمر عليًا ومعاذًا رضى الله عنهما أن يسيرا إلى اليمن فقال: « انطلقا فبشرا ولا تنفرا ، ويسرا ولا تعسرا ، إنه قد أنزل على : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ ورواه الطبرانى بإسناده مثله وقال فى آخره : « فإنه قد أنزل علىَّ يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدًا على أمتك ومبشرًا بالجنة ونذيرًا من النار وداعيًا إلى شهادة أن لا إله إلا الله بإذنه وسراجًا منيرًا بالقرآن » .

٢ ـ حددت الآيات مهمة رسول الله ﷺ وهى الشهادة والتبشير والإنذار والدعوة إلى الله ، وينبغى لوارث رسول الله ﷺ أن يكون لهم حظ من ذلك كله .

ثم يأتى السياق القرآنى ببيان وظيفة النبى ﷺ أن يكون شاهداً على المؤمنين مبشراً إياهم بالجزاء الجزيل إن أطاعوا ، ومنذراً إياهم بالعقاب الأليم إن عصوا ، بل هو داعٍ إلى الله وهنا يبرز سمو الرسالة كما يقول صاحب **الظلال** : « لا إلى دنيا ولا إلى مجد ، ولا إلى عزة قومية ، ولا إلى عصبية جاهلية ، ولا إلى مغنم ، ولا إلى سلطان أو جاه ، ولكن داعيا إلى فى طريق واحد يصل إلى الله ﴿ بِإِذْنِهِۦ ﴾ فما هو بمبتدع ولا بمتطوع ولا بقائل من عنده شيئا ، لإنما هو إذن الله له ، وأمره لا يتعداه ﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ يجلو الظلمات ، ويكشف الشبهات ، وينير الطريق ، نورًا هادئا هاديا كالسراج المنير فى الظلمات .

وهكذا كان رسول الله ﷺ وما جاء به من النور ، جاء بالتصور الواضح البين النير لهذا الوجود ، ولعلاقة الوجود الخالق ، ولمكان الكائن الإنسانى من هذا الوجود وخالقه ، وللقيم التى يقوم عليها الوجود كله ، ويقوم عليها وجود هذا الإنسان فيه ، وللمنشأ والمصير ، والهدف والغاية ، والطريق والوسيلة ، فى قول فصل لا شبهة فيه ولا غموض » .

يقول صاحب الأساس : « يستدل بعضهم بقوله تعالى : ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ ﴾ على أن الدعوة إلى الله تحتاج إلى إذن خاص ، وأقول : إن رسول الله ﷺ قد أذن إذنا عاماً لكل مسلم ، بل أمر كل مسلم أن يدعو إلى الله ضمن إمكانياته، قال عليه الصلاة والسلام:« بلغوا عنى ولو آية » .

ثم يأتى النهى عن اتباع الكافرين والمنافقين ، والاعتصام بحبل الله ، والإعراض عن إيذاء هؤلاء الكافرين والمنافقين ، وأن يتوكل المؤمن على الله حسبه ، فهو كفيل بنصر المؤمن وهو الذى وعدهم نصره ، وبشرهم بذلك ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾(الصافات : ١٧٣) .

ثم تمضى الآيات لبيان بعض التشريعات الإسلامية ولإثبات أن الإسلام منهج حياة لجميع البشر لم يترك جانبا من الأمور إلا وطرقه ، بل إن فى هذه التشريعات أحكاماً خاصة بالرسول

محمد ﷺ دون سواه لتكون حياة هذا البيت صفحة معروضة للأجيال ، فضمنها هذا القرآن الباقى ، المتلو فى كل زمان ومكان ، وهو فى الوقت نفسه تكريم الله ـ سبحانه ـ لهذا البيت الذى يتولى بذاته العلية أمره ، ويعرضه للبشرية كافة فى قرآنه الخالد على الزمان .

فقد مضت الآيات تذكر حُكْم المطلقة قبل الدخول وأنه ليس عليها عدة ؛ لأن العدة شرعت لاستبراء الرحم من الحمل والتأكد من أنها خالية من آثار الزواج السابق؛كى لا تختلط الأنساب، ولا ينسب إلى رجل ما ليس منه ، ثم لإكرام المرأة تأخذ نصف المهر إن كان هناك مهر مسمى ، وإن لم يكن فمتاع مطلق يتبع حال الزوج المالية،ثم يأتى بالتطليق طلاقاً جميلا لا عضل فيها ولا أذى ، ولا تعنت ، ولا رغبة فى تعويقهن عن استئناف حياة جديدة .

وإن عناية الإسلام بالمرأة وتفصيل أحكامها ، لهو إدراك لخطورة إهمال شأنها ، وما يجرّ ذلك الإهمال من عواقب الخسارة والوبال على المجتمعات الإسلامية ، بل إن اليهودية العالمية وحلفاءها الصهيونية والماسونية تسعى لاختراق المجتمعات وإفسادها عن طريق الاستغلال السيئ للمرأة وملء الأدمغة بدعاوى التحرير ، والتحريض على ترك تشريعات الإسلام التى تكفل للمرأة حقوقها ، وللمجتمعات استقرارها .

ثم يبين الله ـ عز وجل ـ لرسوله ﷺ ما يحل له من النساء ، وما فى ذلك من خصوصية لشخصه ولأهل بيته ، وأنواع النساء اللاتى أحللن لرسول الله : الأزواج اللواتى أمهرهن ، وما ملكت يمينه إطلاقا من الفىء ، وبنات عمه ، وبنات عماته ، وبنات خاله ، وبنات خالاته ممن هاجرن معه دون غيرهن ممن لم يهاجرن ، وكذلك أيما امرأة وهبت نفسها للنبىّ بلا مهر ولا ولىّ ـ إن أراد النبى نكاحها .

ويلمح الدكتور محمد أبو شهبة جانب القدوة فى ذلك فيقول : « وإن الإنسان ليعجب كيف وفق النبى ﷺ بين هؤلاء التسع وهن مختلفات فى السن والطبائع والأخلاق والمشارب ، ولكن النبىَّ بسعة عقله ، ورحابه صدره ، وكرم أخلاقه أمكنه أن يحسن عشرتهن ، ويعدل بينهن ، وأن يوفق بين رغباتهن ، وإنها لبطولة حقا أن يكون عنده هذا العدد من الزوجات ، ويقوم بأعباء الرسالة ، وتكوين خير أمة » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ ضمان تبليغ الرسالة هو الصبر على طاعة الله عز وجل ، وعدم موالاة الكفار والمنافقين .

٢ ـ العناية بشأن المرأة المسلمة .

تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

معانى الكلمات :

ترجى : تؤخر .

تؤوى : تضم إليك .

تقرّ أعينهن : تطيب أنفسهن .

رقيبا : حفيظاً ومطلعا .

غير ناظرين إناه : غير منتظرين نضجه .

فيستحى : أى لا يخرجكم من بيوته حياء منكم .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يعلم المسلم بعض الآداب الإسلامية عن دخول بيوت الآخرين .

٢ ـ أن يشعر المسلم بعظمة التشريعات الإسلامية .

٣ ـ أن يلتزم آداب الإسلام فى بيته وفى بيوت الآخرين .

المحتوى التربوى :

تواصل الآيات ذكر ما يتعلق بالأحكام الخاصة فى بيته ﷺ ، وقد لخص ذلك **الإمام النسفى** فى تفسير قوله : ﴿ تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ ، « أى تطلق من تشاء ، وتمسك من تشاء أو لا تقسم لأيتهن ، وتقسم لمن شئت ، أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك ، وتتزوج من شئت ، وهذه كله قبل نسخ ذلك الحكم بالآية التالية وهو قوله تعالى : ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ ﴾ ، وصفة أحكام الله أنها تنزل حسب الوقائع والأحكام وعلى المؤمن أن يذعن ويخضع لأوامر الله ففيها النفع ويتجنب نواهيه ففيها الضر .

يرى **صاحب الظلال** فى قوله تعالى : ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ ﴾ : « أن الاتجاه الرئيسى فى الآية أنها منسوخة ، إلا أن هناك اتجاهاً فى الفهم يوجه الآية بما يجمع بين الآيات بلا نسخ ، وقد ذكر ابن كثير أدلة القائلين بالنسخ وأقوال أخرى بعدم النسخ ».

إن القول بالنسخ هو ردُ على المعاندين والمتطاولين على رسول الله ﷺ بأن الرسول ﷺ أبيح له ما حرم على أمته من تقييد الجمع بين أكثر من أربع زوجات ، فإن الرسول قد منع من الزواج بعد زوجاته التسع حتى لو طلق إحداهن أو بعضهن أو كلهن ، أما المسلم فله أن يتزوج إذا طلق من زوجاته الأربع إحداهن أو بعضهن أو كلهن بشرط تقييد العدد بأربع زوجات .

ثم جاء القرآن ينظم علاقة المسلمين ببيوت النبى ﷺ وتتضمنت الإشارة إلى آداب لم تكن فى الحياة الجاهلية ، فقد أنكر القرآن على بعضهم دخول البيوت بغير إذن ، وبعضهم كان يدخل، وحين يرى طعاماً يوقد عليه يجلس فى انتظار هذا الطعام ، وبعضهم يجلس بعد الطعام ، وأتى الإسلام لتقرير آداب ، وتنظيم المجتمع المسلم وحفظ عوراته وعدم تبديد أوقاته وأوقات الآخرين ، ومحاربة تبلد الإحساس والكسل والتواكل ، بل جعل المجتمع كله فى حركة مستمرة دائبة .

فى الآيات نلمح جوانب القدوة فى حياة الرسول ﷺ ، والحكمة من كونه ﷺ بشراً ، وهو حياؤه من أضيافه الذين طال جلوسهم ، لكن الله عز وجل غار لرسوله ، وأرشد المؤمنين إلى الآداب التى يجب أن يتبعوها فى بيوت النبى ﷺ وبيوت المؤمنين .

وتواصل الآية ذكر الواجب اتباعه عند مخاطبة نساء النبى ونساء المؤمنين وهو الحجاب ، وذلك أطهر لقلوب الجميع وقلوب المسلمين وقلوب أمهات المؤمنين ، وذلك ما يقوله الله عز وجل وهو العليم بالقلوب ، وذلك رد على المدعين والمستغربين الذين يقولون ، كما يذكر **صاحب الظلال** : « أن الاختلاط ، وإزالة الحجب ، والترخص فى الحديث واللقاء والجلوس والمشاركة بين الجنسين أطهر للقلوب ، وأعف للضمائر ، وأعون على تصريف الغريزة المكبوتة ، وعلى إشعار الجنسين بالأدب وترقيق المشاعر والسلوك .. إلى آخر ما يقوله نفر من خلق الله الضعاف المهازيل الجهال المحجوبين. ـ يقولون هذا ـ ويقول الله عن نساء النبى الطاهرات أمهات المؤمنين ـ وعن رجال الصدر الأول من صحابة رسول الله ﷺ . ممن لا تتطاول إليهن وإليهم الأعناق وحين يقول الله قولا ، ويقول خلق من خلقه قولاً ، فالقول لله ـ سبحانه ـ وكل قول آخر هراء ، لا يردده إلا من يجرؤ على القول بأن العبيد الفانين أعلم بالنفس البشرية من الخالق الباقى الذى خلق هؤلاء العبيد .

والواقع العملى الملموس يهتف بصدق الله ، وكذب المدعين غير ما يقوله ، والتجارب المعروضة اليوم فى العالم مصدقة لما نقول » .

مما يذكر أن عمر ﷺ بحساسيته المرهفة كان يقترح على النبى ﷺ الحجاب ، وكان يتمناه على ربه ، حتى نزل القرآن الكريم مصدقا لاقتراحه مجيباً لحساسيته ، وهذا يدل على أن الفطرة السليمة قد يلهمها الله بصيرة تدرك أحكاما ربانية .

وجاءت هذه الآية تعلم الناس ألا يخلوا بيوت النبى بغير إذن فإذا دعوا إلى الطعام دخلوا فأما إذا لم يدعوا فلا يدخلون يرتقبون نضجه ! ثم إذا طعموا خرجوا ولم يبقوا بعد الطعام للسمر والأخذ بأطراف الحديث ، وما أحوج المسلمين اليوم إلى هذا الأدب الذى يجلفيه الكثيرون ، فإن المدعوين إلى الطعام يتخلفون بعده ، بل إنهم ليتخلفون على المائدة ويطول بهم الحديث ، وأهل البيت الذين يحتفظون ببقية من أمر الإسلام بالاحتجاب متأذون محتسبون والأضياف ماضون فى حديثهم وفى سمرهم لا يشعرون وفى الأدب الإسلامى غناء وكفاء لكل حالة لو كنا نأخذ بهذا الأدب الإلهى القويم .

قال القاسمى : « ﴿ وَلَٰكِنْ ﴾ استدراك من النهى عن الدخول مع الإذن المطلق الذى هو الدعوة بتعليم أدب آخر ، وإفادة شرط مهم ، وهو الإشارة إلى أن للدعوة حينا ووقتا يجب أن يراعى زمنه ، وهذا المنهى عنه لم يزل يرتكبه ثقلاء القرويين ، ومن شاكلهم من غلظاء المدنيين الذين لم يتأدبوا بآداب الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، وهو أنهم إذا دعوا لتناول طعام يتعجلون المجىء قبل وقته بساعات ، مما يغم نفس الداعى وأهله ، ويذهب لهم جانبا من عزيز وقتهم عبثا إلا فى سماع حديثهم البارد ، وخدمتهم المستكرهة .. فعلى ما ذكرناه يكون فى الآية فائدة جميلة وحكم مهم ، وهو حظر المجىء قبل الوقت المقدر » .

ونلحظ أمر الله بتقواه ؛ لأنه المطلع على السد والعلن ، فمراقبة الله فى كل أمر ، واستحضار تلك المراقبة يمنع الإنسان من الوقوع فى الإثم .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويا :

١ ـ الالتزام بالآداب الإسلامية فى دخول البيوت .

٢ ـ الحرص على وقت المسلم وعدم تضييع أوقات الآخرين .

٣ ـ الالتزام بتجنيب مواضع الريبة والشك .

٤ ـ استحضار مراقبة الله فى كل أموره .

لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ
إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ
أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا
(٥٥) إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا (٥٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا
مُّهِينًا (٥٧) وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٥٨)
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ
عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥٩) ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ
فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ
بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَّلْعُونِينَ ۖ
أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا (٦١) سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى
ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا (٦٢)

٤٢٦

معانى الكلمات :

لا جناح : إثم .

لعنهم الله : طردهم .

بغير ما اكتسبوا : بغير جناية .

بهتانا : افتراء .

إثما مبينا : ذنبا ظاهراً .

يدنين : يرخين .

المرجفون فى المدينة : الذين ينشرون الشائعات الكاذبة .

لنغرينك : لنسلطنك .

أينما ثقفوا : أى مكان وجدوا .

الذين خلوا : الأمم الماضية .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يعلم المسلم فرضية الحجاب ، وصفاته الشرعية .

٢ ـ أن يشعر المسلم بعظمة التشريعات الإسلامية فى شأن الأسرة والمرأة .

٣ ـ أن يطبق المسلم تشريعات الإسلام على أهل بيته .

المحتوى التربوى :

يمضى السياق القرآنى فى ذكر محارم المرأة ، وهناك آية أعم ذكرت محارم المرأة فى سورة النور ، ويقرن ذكر محارم المرأة بتقوى الله ، والإيحاء بالتقوى ، ومراقبة الله يُطرد فى مثل هذه المواضع ؛ لأن التقوى هى الضمان الأول والأخير، وهى الرقيب اليقظ الساهر على القلوب .

ويستمر السياق فى تحذير الذين يؤذون النبىّ ﷺ فى نفسه أو أهله ، وفى تفظيع الفعلة التى يقدمون عليها ، وذلك عن طريقين : الطريق الأولى : تمجيد رسول الله ﷺ وبيان مكانته عند ربه وفى الملأ الأعلى ، والطريق الثانية تقرير أن إيذاء لله سبحانه ، وجزاؤه عند الله الطرد من رحمته فى الدنيا والآخرة .

يقول صاحب الظلال : « وصلاة الله على النبى ذكره بالثناء فى الملأ الأعلى ، وصلاة ملائكته دعاؤهم له عند الله سبحانه وتعالى ، ويا لها من مرتبة سنية حيث تردد جنبات الوجود ثناء الله على نبيه ويشرق به الكون كله وتتجاوب به أرجاؤه ، ويثبت فى كيانه الوجود ذلك الثناء الأزلى القديم الأبدى الباقى وما من نعمة ولا تكريم بعد هذه النعمة وهذا التكريم وأين تذهب صلاة البشر وتسليمهم بعد صلاة الله العلى وتسليمه ، وصلاة الملائكة فى الملأ الأعلى وتسليمهم ، إنما يشاء الله تشريف المؤمنين بأن يقرن صلاتهم إلى صلاته ، وتسليمهم إلى تسليمه وأن يصلهم عن هذا الطريق بالأفق العلوى الكريم الأزلى القديم » .

فى ظل هذا الاحتفاء والتمجيد يبدو إيذاء الناس للنبى ﷺ بشعا شنيعاً ملعونا قبيحاً ، ويزيد بشاعة وشناعة أنه إيذاء لله من عبيده ومخالفيه .

ويتوسع التحذير الإلهى بالتحذير من إيذاء المؤمنين والمؤمنات ؛ ذلك لأن ايذاء المؤمنين إيذاء لرسول الله ، يقول رسول الله ﷺ : « الله الله فى أصحابى ، لا تتخذوهم غرضاً بعدى ، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فبغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه » .

يقول ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : « ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾: هذا هو البهت الكبير ، أن يحكى أو ينقل من المؤمنين والمؤمنات ما لم يفعلوه على سبيل العيب والتنقيص لهم ، ومن أكثر ممن يدخل فى هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله ، ثم الرافضة الذين ينتقصون الصحابة .

وقد روى ابن أبى حاتم عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ لأصحابه : « أى الربا أربى عند الله ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم » ، ثم قرأ : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾.

ثم تنتقل الآيات لأمر آخر وهو فرض الحجاب وهو الأمر بارتداء الجلباب ، وقد اختلفت آراء المفسرين فى الجلباب وقد سارت الأنصار عقب نزول الآية فاختمرن بما تيسر لهن من الأُزر، وذلك لقوة الإيمان التى توجه العبد لطاعة الله عز وجل وهى قوة محركة لنفس المؤمن .

ثم تأتى الآيات وتحذر المنافقين من الكيد للمؤمنين وكذلك تحذير الذين يثيرون الشائعات فى صفوف الجماعة المسلمة ، وفى قوله تعالى : ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ .

يقول صاحب الأساس : « أعطتنا هذه الآيات مدى واسعاً فى تعزير هذه الأنواع من الناس ، ومن ثم فإننا نحب أن نسجل الملاحظات التالية :

أ ـ إن الرسول ﷺ لم يلجأ إلى قتل المنافقين مع استحقاقهم ذلك ، حتى لا يقال إن محمداً يقتل أصحابه .

ب ـ إن الرسول ﷺ بسياسته للمنافقين ، وبحسن معاملته لهم ، وتوجيهه استطاع أن ينقذ الكثيرين منهم من النفاق ويكفى أن نعرف أنه يوم أحد انفصل عن الجيش الإسلامى مع رأس النفاق عبد الله بن أبى أكثر من ثلاثمائة ، بينما أخبرنا حذيفة أن الذين كتب عليهم النفاق ، وليس لهم عنه منكص آحاد » .

إن التعامل مع المنافقين يترك أمره للقيادة الراشدة خاصة أنه يختلف حسب حال الجماعة المسلمة ، فهم ـ أى ـ المنافقون لا يظهرون حين تكون الدعوة مستضعفة ، أما فى حال قوة الدولة المسلمة فهم يظهرون وهم يكيدون المؤمنين .

يقول صاحب الأساس : « قد يقول قائل هذه الآيات خاصة برسول الله ﷺ وله وحده حق الأخذ بها أقول : إن قوله تعالى : ﴿ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾ أخرج المسألة عن كونها خصوصية من خصوصيات رسول الله ﷺ ، صحيح أن النفاق غيب ، ولكن مواصفاته معروفة لنا » .

وفى النهاية يأتى تهديد المنافقين ومرضى القلوب والمرجفين الذين ينشرون الشائعات المزلزلة فى صفوف الجماعة المسلمة .. تهديدهم القوى الحاسم بأنهم إذا لم يرتدعوا عما يأتونه من هذا كله وينتهوا عن إيذاء المؤمنين والمؤمنات والجماعة المسلمة كلها أن يسلط الله عليهم نبيه كما سلطه على اليهود من قبل ، فيظهر منهم جو المدينة ويطارهم من الأرض ويبيح دمهم فحيثما وجدوا أخذوا وقتلوا كما جرت سنة الله فيمن قبلهم من اليهود على يد النبى ﷺ وغير اليهود من المفسدين فى الأرض فى القرون الخالية .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ الإكثار من الصلاة على رسول الله ﷺ .

٢ ـ استشعار فضل صحابة رسول الله ﷺ .

٣ ـ تطبيق الحجاب على نساء المؤمنين .

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا
﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ
وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا
فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَـٰٓ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ
وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ
ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾
يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ
لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ
وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ
عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾
٤٢٧

معانى الكلمات :

سعيراً : ناراً موقدة .

وليا : حافظاً .

آتهم ضعفين : عذبهم عذابين .

وجيها : صاحب مكانة عالية .

أبين : امتنعن .

أشفقن : خفن من الخيانة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن يعلم عواقب تقليد الكافرين والمنافقين .

٢ ـ أن يشعر المسلم بقبح المعصية وسوء عاقبتها .

٣ ـ أن يجتهد المؤمن فى عبادته وطاعاته لربه اقتداء بالمؤمنين .

المحتوى التربوى :

تبدأ الآيات بإيراد تساؤل الناس عن الساعة ، واستعالجهم بها ، ويحمل هذا الاستعجال معنى الشك فيها ، أو التكذيب بها ، والساعة غيب قد اختص به الله ـ سبحانه ـ ولم يشأ أن يطلع عليه أحدًا من خلقه جميعًا بما فيهم الرسل والملائكة المقربون .

ويشير صاحب **الظلال** لحكمة إخفاء موعد الساعة بقوله : « قدر الله هذا لحكمة يعلمها ، نلمح طرفاً منها ، فى ترك الناس على حذر من أمرها ، وفى توقع دائم لها ، وفى استعداد مستمر لفجأتها ذلك لمن أراد الله له الخير ، وأودع قلبه التقوى ، فأما الذين يغفلون عن الساعة ، ولا يعيشون فى كل لحظة على أهبة للقائها ، فأولئك الذين يختانون أنفسهم ، ولا يقونها من النار ،

وقد بين لهم وحذرهم وأنذرهم ، وجعل الساعة غيباً مجهولاً متوقعاً فى أى لحظة من لحظات الليل والنهار » .

ثم يعرض النسق القرآنى صورة للكفار يوم القيامة وهم يعذبون فى ذلك اليوم الذى يستعجلون مقدمه ، ويعرض فيه ندمهم وحسرتهم وغضب الله عليهم ، وتبرؤ الأتباع من متبوعيهم ، وهم كما **يقول الإمام الشوكانى** : « المقصود هم الرؤساء والقادة الذين كانوا يمتثلون أمرهم فى الدنيا ، ويقتدون بهم ، وفى هذا زجر عن التقليد الشديد ، وكم فى الكتاب العزيز من التنبيه على هذا، والتحذير منه والتنفير عنه ، ولكن لمن يفهم معنى كلام الله ويقتدى به ، وينصف من نفسه ...

فى قوله تعالى : ﴿ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ ﴾ **يقول الإمام الفخر الرازى** : لما بين أنه لا شفيع لهم يدفع عنهم العذاب بين أن بعض أعضائهم أيضا لا يدفع العذاب عن البعض بخلاف عذاب الدنيا . فإن الإنسان يدفع عن وجهه الضربة اتقاء بيده ، فإن من يقصد رأسه ووجهه تجده يجعل يده جنة أو يطأطئ رأسه كى لا يصيب وجهه ، وفى الآخرة ﴿ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ ﴾ فما ظنك بسائر أعضائهم التى تجعل جنة للوجه ووقاية لهم ؟ !!.

ثم تنقل الآيات بخطاب المؤمنين وألا يكونوا كالذين آذوا نبى الله موسى ﷺ ؛ لأن الله حافظ دينه ونبيه من الافتراءات فقد برأ الله عز وجل موسى ﷺ وشرفه فلا يبعد أن يشرف نبيه محمداً ، وهو أكرم الخلق على الله ـ عز وجل .

ويقول صاحب الأساس : « إنه لا أضر على العمل الإسلامى من إيذاء القيادة الإسلامية ؛ لأن أى عمل عام يكتب له نجاح فى العادة بقدر توفر الثقة فى قياداته ، وفى العادة فإن الثقة لا تنتقل إلى الأمة إلا من خلال الصف الإسلامى، فبقدر ما تحسن القيادات العمل ، وبقدر ما تتوفر الثقة بالقيادات ، فإن الأهداف تكون قابلة للتحقيق ، ومن ثم فإن تحطيم القيادات الإسلامية كارثة محققة ، إلا إذا كانت هذه القيادات غير رشيدة أو غير صالحة » .

وعلى هذا فإن المسلم يجب أن يحتاط فى كل كلمة تمس الثقة بين قيادة المسلمين وقاعدتهم وعليه أن يعطى هذا الموضوع أهمية أكبر من أهمية موضوع الغيبة العادية ، إن الغيبة العادية لها إثمها الكبير عند الله حتى إنه : « لا يدخل الجنة قتات » فكيف إذا كان فى هذه الغيبة تدمير لكيان العمل الإسلامى » .

إن عملية البناء عملية صعبة ، وعملية التهديم سهلة ، وإن أخطر ما تصادفه الجماعات أن يتوجه أفرادها إلى التهديم ، فهذا أسهل شىء وأبشعه .

وتستمر الآيات فى خطاب المؤمنين لتسديد القول وإحكامه ؛ ولأن الله لا يظلم الناس شيئاً، فيجازيهم بتوجيههم إلى الخير والسداد فى كل أمورهم ، وغفران ذنوبهم ، وهذا كما **يقول صاحب الظلال** : « والاستقامة على نهج الله مريحة مطمئنة ، والاهتداء إلى الطريق المستقيم الواضح الواصل سعادة بذاته ، ولو لم يكن وراءه جزاء سواه ، وليس الذى يسير فى الطريق الممهود المنير ، وكل من حوله يتجاوب كالذى يسير على الطريق المقلقل المظلم ، فطاعة الله ورسوله تحمل جزاءها فى ذاتها ، وهى الفوز العظيم قبل يوم الحساب وقبل الفوز بالنعيم ، أما نعيم الآخرة فهو فضل زائد على جزاء الطاعة ، فضل من كرم الله وفيضه بلا مقابل ، والله يرزق من يشاء بغير حساب » .

قال أبو السعود : « لما بين عظم شأن طاعة الله ورسوله ببيان مآل الخارجين عنها من العذاب الأليم ، ومثال المراعين لها من الفوز العظيم عقب ذلك ببيان عظم شأن ما يوجبها من التكاليف الشرعية وصعوبة أمرها .. وعبر عنها بـ ﴿ ٱلْأَمَانَةَ ﴾ تنبيها على أنها حقوق مرعية أودعها الله تعالى المكلفين ، وائتمنهم عليها وأوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد ، وأمرهم بمراعاتها والمحافظة عليها وأدائها من غير إخلال بشىء من حقوقها » .

ثم تمضى الآيات لبيان فضل الله على الإنسان بالإشارة لضعفه ، وإلى ضخامة الأمانة الملقاة على عاتقه ، لكنه تكريم من الله عز وجل ، فليعرف الإنسان مناط تكريمه عند الله ، ولينهض بالأمانة التى اختارها ، والتى عرضت على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها .

ثم ختمت السورة ببيان أن الجزاء من جنس العمل كما **يوضح صاحب الظلال**: « فاختصاص الإنسان بحمل الأمانة، وأخذه على عاتقه أن يعرف نفسه، ويهتدى بنفسه، ويعمل بنفسه، ويصل بنفسه؛ليحتمل عاقبة اختياره،وليكون جزاؤه من عمله، وليحق العذاب على المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :

١ ـ الحذر من المنحرفين والمجرمين والفاسقين .

٢ ـ اتخاذ المؤمنين الصالحين القدوة الحسنة .

٣ ـ عدم ترويج الشائعات التى ترمى الحطّ من القيادة المسلمة .